من الشرعية.. إلى الشرعية

من الحياة ما تستمدّه من بقاء الآخرين إشراقاً ومن حبّهم لك احياء.

مع تأليف الحكومة الانتقالية التي رئسها العماد ميشال عون، وقفت على مألوف عادتي، إلى جانب الشرعية، إلى جانب الرئيس ميشال عون آنذاك وأوشكت دخول غياهب السجن شأن سواي، غير أنني خرجت من «بيت الشعب» عندما هجره كبار القوم وكان آخرهم سعيد عقل وكاهن أنطوني ثم هجر القصر الرئاسي سيّده الشرعي ميشال عون ليلجأ إلى السفارة الفرنسية فالدولة الفرنسية مناه الأخير الباقي.

هكذا تحوّلت الشرعية ولو مؤقتة إلى شارعية، بعدما انبتت البلاد «شارعيات» من هنا ومن هناك رافعة أعلاماً مختلفة تماماً كما ترفع «الشبيبة» أعلاماً أجنبية في مواسم المهرجانات الرياضية المحلية والدولية، ورافعوها لا يعرفون شيئاً عن البلاد أو المجتمعات التي ترمز إليها تلك الأعلام.

الآن، يعود العماد الرئيس إلى «بيت الشعب» ليجسّد الشرعية مجدداً محوّلاً «الشارعيات» إلى شرعية واحدة أو ربما الشرعيات إلى شرعية واحدة لماذا؟

لأن ثمّة تلاقي ما لشرعية المحرّك الأول الدكتور سمير جعجع الذي ضحّى بالرئاسة الأولى له من أجل رئاسة الدولة والمؤسسات. وهناك شرعية العقل الفاعل الرئيس سعد الحريري الذي ضحّى بانتماءاته وتحالفاته لإنقاذ البلاد وإنهاض اقتصادها ومتابعة مسيرة والده الإنمائية. وهناك العقل الفاعل لدى الرئيس عون الذي نرجو أن «يضحّي» ببعض المقرّبين وربما الأقارب في سبيل تجسيد النزاهة التي نعهدها لديه.

هناك أيضاً من ذهب «مفعولاً رجعياً» (تعبير في القواعد العربية) هو سليمان فرنجية. وهناك أيضاً وأيضاً حزب الله وحرارة الإيمان لديه ينبغي أن تتجسّد أكثر فأكثر تفاعلاً من الوجهة اللبنانية. أما الرئيس نبيه برّي فيبقى ضابطاً للإيقاع الوطني على الرغم من كل شيء.

يبقى حزب الكتائب عاكساً للوطنية اللبنانية بلا منازع. ويبقى سائر المعتدلين والمستقلين وعلى رأسهم الوزير الصديق بطرس حرب الضحية الوحيدة ربما في شتى الأحوال، يظلّون صمّام أمان ضرورياً، وهم ظلّوا على صمتهم المعبّر الفاعل ولو بعد حين!

إذا صفت نوايا المعنيين وتآلفت جهودهم بعد محننا المختلفة بات شعبنا الاستثنائي في صبره وطول أناته على رجاء الاستقرار والحرية والاستغناء عن القسوة التي تهيمن عليه منذ أمد بعيد. هل ننتقل من قانون القوة إلى قوة القانون؟ أولا تستطيع استراتيجية السلام أن تستعيض من استراتيجية الحرب وأعمال العنف؟ هل صحيح أن القتال أبداً هدف في ذاته وضرورة لازمة تمهّد لاستقرار الشعوب؟

د. جهاد نعمان

سفير السلام في العالم